وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

المراجعات الفكرية بين الانضباط والانفلات (١)

مروان محمد أبو بكر

مقالات للكاتب

مقالات ذات صلة

تاريخ الإضافة: ٢٠٠٧/١٠/١٧ ميلادي – ١٤٢٨/١٠/٥ هجري

زيارة: ٤٠٤

الإنسانُ أسيرُ أفكاره؛ فالأفكار (بوصلة) تحددُ مسارَ الحركة، وكلُّ خطوة من عاقلٍ راشدٍ مسبوقةٌ بفكرة، وقد تبلغُ الأفكارُ درجةَ العقيدة والإيمان، فيرى المرءُ عندها الشرفَ والمجد في التضحية من أجلها بالغالي والنفيس، ومن الناس من رأى أفكارَه عرائس من شمع؛ لا تحيا إلا إذا سَقَوها بدمائهم، ولعلهم يتمثلون قولَ الشاعر:

عِشْ دون رأيك في الحياة مجاهداً إن الحياةَ عقيدةٌ وجهادُ

ومما يعبَّر به عن تبني الفكر كلمةُ (اعتنق) من المعانقة؛ فيقال: اعتنق فكر الخوارج، أو المعتزلة، أو نحوه، وذلك دلالة على قوة تأثير الفكر في حياة الإنسان.

ولما غزا الأعداءُ بلادَ المسلمين ردحاً من الزمن، ولم يغيروا في فكر السواد الأعظم من الأمة، وظلت الأمة محتفظة بعقيدتها وفكرها وتراثها، علموا ألا سبيل للسيطرة عليها إلا بالسيطرة على مركز التحرك فيها، وهو فكرُها وعقيدتها وفلسفتها للحياة؛ فقاموا بحملة مضادة لفكر الأمة، وقد قطعوا شوطاً طويلاً في غزوها فكرياً، وبذلوا في ذلك الأموالَ الكثيرة، ورصدوا جميعَ الإمكانيات المتاحة للغزو الفكري، وهو غزوٌ أكثرُ تدميراً وأبلغُ ضرراً من غزوهم الحسي.

ولما كانت الأفكارُ من الأهمية بالقدر الذي لا يُجهل، كان لا بد من مراجعتها، والنظر في موافقتها الحقَّ، فلا أحد يرضى أن يكون للباطل نصيراً، أو أن يجعل من حياته نهباً لأفكار منحرفة.

ومعلومٌ أن التحولَ الفكري قد يكونُ نتيجةً من نتائج المراجعة الفكرية، وهو من الخطورة بمكان، ولذا لزم تحديدُ ضوابط المراجعة الفكرية وتوضيح آلياتها، حتى لا تثمرَ رِدَّة إلى الوراء، فعدُوُّ الإنسان من يوم خَلْقِه –الذي يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير– لن يفوّتَ فرصةَ مراجعة يُدخل فيها نَزْغةً من نَزَغاته؛ لعلمه أن فسادَ الفكر رأسُ كل فساد؛ قال الله تعالى: {اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [البقرة: ٢٥٧]، وقال عز من قائل: {قُلْ أَنَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ} [الأنعام: ٧١].

والناظر يرى كثيراً من المعاول التي شَيَّدت للحق صروحاً، عَطَفت على ما شيدت، فهدمته بدعوى المراجعة الفكرية والتجديد، وذلك يوم استَعْمَلت كلمة الحق هذه لِمُرادٍ باطل، ولربما وَلَّدت تلك المراجعاتُ المنفلتة غداً موقفاً آخرَ منهم، فبنوا ما هَدَموا؛ ليصدُق عليهم قولُ ابن القيم –رحمه الله تعالى–:

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وتهدمُ ما تبني بكفك جاهداً فأنت مدى الأيام تبني وتهدمُ

إن الأفكار ليست ثوباً نلبسُه صباحاً ونخلعه مساء، بل لا بد من التأني والتفكر قبل تبني جديد الأفكار، فالأمر يتعلقُ بمسيرنا في حياة حاضرة، ويترتب عليه مصيرُنا في حياة آجلة، ولذا كان لا بد من الدقة والاجتهاد في مراجعتها وفق ضوابطَ مستقاةٍ من الشرع، أما أن لا يكون للمراجعة الفكرية خطامٌ ولا زمام، فهذا عينُ الفتنة التي عناها ابنُ مسعود –رضي الله عنه– بقوله: "من كان مُسْتَنًّا فليستن بمن قد مات؛ فإن الحي لا تؤمن فتنته"[١].

ويلاحَظُ أنَّ بعضَ المفكرين كلما التقى أحداً فأعجب بمنطقه وفصاحة لسانه، أو كلما قرأ كتاباً يناقش قضايا لم تخطر على باله سكب في وعائه منها، دون الرجوع لمنهجٍ طالما زعم الانتماءَ إليه، ليتأكد له صوابُ تلك الأفكار من خطئها، مع أن الأمر لن يكلفَه إلا مزيدَ قراءة في ذلك المنهج المتكامل الشامل.

والتقلبُ الفكري غيرُ المنضبط، الذي رآه بعضُ أهل هذا الزمان –لانطماس بصيرتهم– دليلاً على سعة الأفق وقابلية التفاعل، عدَّه السلفُ الصالح رقةً في الدين، وقلةً في العقل؛ فعن معن بن عيسى قال: انصرف مالكُ بن أنس –رضي الله عنه– يومًا من المسجد وهو متكئ على يدي، فلحقه رجلٌ يقال له: أبو الحورية كان يُتهم بالإرجاء فقال: يا عبد الله اسمع مني شيئًا أكلمك به وأحاجك وأخبرك برأي، قال: فإن غلبتني؟ قال: إن غلبتك اتبعتني، قال : فإن جاء رجل آخر فكلمنا فغلبنا؟ قال: نتبعه، فقال مالك –رحمه الله تعالى–: يا عبد الله، بعث الله –عز وجل– محمدًا –صلى الله عليه وسلم– بدين واحد، وأراك تنتقلُ من دين إلى دين. قال عمرُ بن عبد العزيز: من جعلَ دينَه غرضًا للخصومات أكثرَ التنقلَ[٢].

فلم يكن التقلبُ الفكري المتجاوز لضوابط المراجعة الفكرية منقبةً يوماً، حتى نَجَمَ قرنُ المفتونين المغترين بما معهم من بضاعة برغم أنها مزجاة إذا ما ووزنت بما عند السلف الصالح من رسوخ علمي وفهم دقيق منسجم مع روح الشريعة ونصوصها.

ولم يَرُدّ السلف مراجعةَ الفكر القائمة على ضوابط وأسس مستقاة من الكتاب والسنة، وحواراتُهم العلمية ومراجعاتُهم الفكرية تشهدُ لهم بذاك، وإنما كان رفضُهم لمنهج أهل البدع المنفلتين عن المنهج القويم الذي رسموه لمراجعة الفكر.

إذاً هذه ليست دعوةً تزين الجمود، وتحض على التشبث بالأفكار وإن جانبت الصواب، كما قال الأولون وأخبر عنهم أصدق القائلين عز وجل: {إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ} [الزخرف: ٢٢]، وقال تعالى عنهم: {وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ} [الأعراف: ١٣٢]، ولكنما الحقُّ وسط بين المنكفئين والمنفلتين، وهو منهج المنضبطين الذي نعد القارئ أن نعرض له في مقال قادم إن شاء الله.

---

[١] رواه البيهقي في السنن الكبرى، ١١٦/١٠، (٢٠١٣٦).

[٢] الشريعة، للآجرى، ٦٤/١.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

مروان محمد أبو بكر

مقالات للكاتب

مقالات ذات صلة

تاريخ الإضافة: ٢٠٠٧/١١/٢٦ ميلادي – ١٤٢٨/١١/١٦ هجري

زيارة: ٥٤٧

في المقال السابق جرى الحديثُ عن المراجعات الفكرية، وأهميتها، وخطورةِ المراجعات القائمة على غير ضوابطَ معلومةٍ منهجية، مع تأكيد أن الحقَّ أحقُّ أن يتبع، وأن المسلم متى استبان له الحقُّ هُرِع إليه؛ لأن الحكمة ضالته والهدى مطلبه، وقد عاب الله تعالى على الذين جمدوا على ما هم عليه من ضلال الأفكار لَمَّا استبان لهم الهدى واتضح كما سبق البيان.

وفي هذا المقال وقبل الشروع في بيان ضوابط المراجعات الفقهية نقف وقفات:

الوقفة الأولى:

ماذا نعني بالمراجعات الفكرية، وللإجابة عن هذا السؤال يجب تعريف الفكر، وبيان المعنى المراد منه لغة واصطلاحا ليسهل بعد ذلك إيضاح المراد من مراجعته.

الفكر في اللغة: قال ابن منظور: الفَكْرُ والفِكْرُ إعمال الخاطر في الشيء. قال سيبويه: ولا يجمع الفِكْرُ ولا العِلْمُ ولا النظرُ. قال: وقد حكى ابنُ دريد في جمعه أَفكاراً، والفِكْرة كالفِكْر وقد فَكَر في الشيء[١].

وقال الفيروزأبادي: الفكر.. إعمالُ النَّظَرِ في الشيءِ كالفِكْرَةِ والفِكرَى بكسرهما، ج: أفْكارٌ. فَكَر فيه وأفْكَرَ وفَكَّرَ وتَفَكَّرَ. وهو فِكِّيرٌ كسِكِّيتٍ وفَيْكَرٌ كَصَيْقَلٍ: كثيرُ الفِكْرِ[٢].

هذا التعريف اللغوي يبرز منه معنى؛ هو أن الفكر يكون فيما يحتاج إلى إمعان النظر والتأمل والتدقيق في محتواه، لا فيما اتضح وبان من الأمور بحيث يعد التدقيق والتأمل فيه جهدًا بغير طائل.

وحول هذا المعنى اللغوي تدور غالب التعريفات الاصطلاحية، فإليك بعضها.

يقول الغزالي عليه رحمة الله: "اعلم أن معنى الفكر هو إحضار معرفتين في القلب ليستثمر منهما معرفة ثالثة"[٣].

قال بعض الأدباء: "الفكر مقلوب عن الفرك، لكن يستعمل الفكر في المعاني وهو فرك الأمور وبحثها طلباً للوصول إلى حقيقتها"[٤].

وبالنظر إلى تعريفات الفكر اللغوية والاصطلاحية، يمكننا القول بأن مفهوم الفكر يتلخص في ما يلي:

أولاً: أن الفكر عملية عقلية تعني إمعان النظر في ما علم إمعانا يفضي بالممعن إلى إدراك ما لم يكن معلوما لديه.

ثانياً: تسمى هذه العملية العقلية المعرَّفة في الفقرة السابقة (فكرًا) كما تسمى نتيجتها وثمرتها (فكرًا) كذلك، وهذا يذكرنا بمصطلح الفقه؛ إذ تسمى ملكة النظر في الأدلة واستخراج الأحكام عند الفقيه فقهًا، كما تسمى تلك الأحكام الناتجة عن عملية الاستنباط فقها كذلك، وتجدر الإشارة إلى أن بين الفكر والفقه عمومًا وخصوصًا.

الثالث: مما مضى يتبين أن الفكر لا يطلق على البديهيات، بل يطلق على ما يحتاج إلى نظر واستدلال وإمعان.

رابعاً: يتضح أن الفكر مجاله في المعاني وليس في المحسوسات، فإجالة العقل في القضايا التي تخص فلسفة الحياة أو تتعلق بمصير الإنسان الأبدي وغيره هي مجال الفكر.

الوقفة الثانية:

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وإذا تبين أن الفكر هو النظر العقلي فيما علم للتوصل إلى نتيجة غير معلومة، فليس من العسير علينا أن نستنتج أن الشريعة الإسلامية ومصادرها الأصلية التي في طليعتها الكتاب والسنة هي أصل المعلوم للمسلم، ومن ثم في مراد كل فكرٍ، فما وافق الشريعةَ وقواعدَها مما تتوصل إليه تلك العمليةُ العقلية المسماة بالفكر أو نتائجها فهو فكر صحيح، وما خالفها فهو فكر منحرف عن سواء السبيل.

الوقفة الثالثة:

لا يقول مسلم يشهد ألا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله: إن مرجعيته ليست الكتاب والسنة، ولكن هذه المرجعية التي يدعيها الكل تتباين طريقتُه في التعامل معها والرجوع إليها، فمن المسلمين من يقدم العقل على النقل فيجعل هذه المرجعية محكومة بالعقل، لا أن العقل محكوم بها، مع أن الواقع عدم التعارض بين النقل الصحيح والعقل الصحيح، ولكن كثيرًا ما تحكِّم هذه الطائفةُ عقولَها السقيمة على نصوص الوحيين الشريفين، ومن المسلمين من جعل المنامات والأحلام حاكمة على النقل، والحق الذي ليس بعده إلا الضلال أن يعتمد عند الرجوع إلى نصوص الوحيين على فهم السلف الصالح، وقد دلت على اتباع منهجهم في فهم الدين نصوصُ الوحيين الكريمين وإليك بعضها:

أولا: قول الله تعالى: {وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا} [النساء: ١١٥]، وأول ما يدخل في سبيل المؤمنين المذكور في هذه الآية الكريمة سلف الأمة الصالح من النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام والتابعين لهم بإحسان.

ثانياً: قال الله تعالى: {وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [التوبة: ١٠٠]، ففي هذه الآية تزكية إلهية صريحة للصحابة الكرام الذين هاجروا مع النبي –صلى الله عليه وسلم– ونصروه، وقد أخبر الله تعالى أنه رضي عنهم وقبلَ منهم، وفي ذلك حض من الله تعالى للعباد أن يسلكوا سبيلهم ليفوزوا برضوانه.

ثالثاً: قال النبي –صلى الله عليه وسلم–: "خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته"[٥].

وفي هذا بيان من النبي –صلى الله عليه وسلم– وتصريح بأفضلية الرعيل الأول على من بعدهم من القرون فأي الناس أولى بالاتباع: مَن شهد له المعصوم صلى الله عليه وسلم بالخير والفضل، أم مَن استهوته الشياطينُ ممن طال عليهم العهد وبعدوا عن مشكاة النبوة؟

رابعاً: خطب عمرُ الناسَ بالجابية، فقال: "إن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قام في مثل مقامي هذا، فقال: أحسنوا إلى أصحابي ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قوم يحلف أحدهم على اليمين قبل أن يستحلف عليها، ويشهد على الشهادة قبل أن يستشهد، فمن أحب منكم أن ينال بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة، فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد، ولا يخلون رجل بامرأة فإن ثالثهما الشيطان، ومن كان منكم تسره حسنته وتسوءه سيئته فهو مؤمن"[٦].

ففي هذا الحديث دلالة واضحة على فضل الصحابة وتوقيرهم ومعرفة قدرهم، فإن كانت هذه بعض حقوقهم علينا فهل يختلف عاقلان في وجوب اتباعهم واقتفاء آثارهم؟

This file was downloaded from QuranicThought.com

خامساً: قال الله تعالى: {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [يوسف: ١٠٨]، فأول من اتبع النبي –صلى الله عليه وسلم– هم الصحابة الكرام فقد كانوا أول وأصدق من اتبعه وتمسك بهديه، وقد شهدت لهم هذه الآية بالبصيرة فكانوا لذلك أحق من اتبع.

سادساً: عن أبي بردة عن أبيه قال: "صلينا المغرب مع رسول الله –صلى الله عليه وسلم– ثم قلنا لو جلسنا حتى نصلي معه العشاء، قال: فجلسنا فخرج علينا فقال: ما زلتم ههنا؟ قلنا يا رسول الله صلينا معك المغرب ثم قلنا: نجلس حتى نصلي معك العشاء، قال: أحسنتم أو أصبتم، قال: فرفع رأسه إلى السماء وكان كثيراً مما يرفع رأسه إلى السماء، فقال: النجوم أمنة للسماء فإذا ذهبت النجوم أتى السماءَ ما توعد، وأنا أمنةٌ لأصحابي فإذا ذهبتُ أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمنة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون"[٧].
فبين النبي –صلى الله عليه وسلم– أن الصحابة أمان للأمة كلها، فمن أراد الأمن في الدنيا والآخرة فليقتفِ أثرهم وليهتدِ بهديهم، وهم نجوم الأمة، وقد جعلت النجوم ليهتدى بها في ظلمات البر والبحر، وكذا الصحابة يُهتدى بهم لمعرفة الحق والنجاة من ظلمات الفتن.

سابعاً: عن العرباض –رضي الله عنه– قال:" صلى بنا رسول الله –صلى الله عليه وسلم– ذات يوم ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة؛ ذرفت منها العيونُ، ووجلت منها القلوبُ، فقال قائل: يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا؟ فقال: "أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبداً حبشياً؛ فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسكوا بها وعَضُّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثاتِ الأمور؛ فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة"[٨].
ووجه الدلالة في هذا الحديث أن النبي –صلى الله عليه وسلم– أمر أمته عند الاختلاف بالتمسك بسنته وفهم صحابته كما سبق بيانه، ومن اللطائف في هذا الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن ذكر سنته وسنة الخلفاء الراشدين قال: "عضوا عليها"، ولم يقل: "عليهما" للدلالة على أن سنته وسنة أصحابه منهج واحد.

ثامناً: عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وآله وسلم–: تفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلهم في النار إلا واحدة، قالوا: وما تلك الفرقة؟ قال: ما أنا عليه اليوم وأصحابي"[٩].
فهذه صفة الفرقة الناجية والطائفة المنصورة وهي اتباعها لأصحاب النبي –صلى الله عليه وسلم– واقتدائها بهم كما أبان هذا الحديث.

وقد تضافرت أقوالُ العلماء الهداة على وجوب اتباع منهج الرعيل الأول والأخذ بفهمهم للكتاب والسنة والرجوع إلى قواعدهم في فهمها، وإليك بعض أقوالهم في ذلك:
قال أبو المظفر السمعاني: "وشعار أهل السنة اتباعهم لمنهج السلف وتركهم كل ما هو مبتدع"[١٠].

قال الأوزاعي: "اصبر نفسك على السنة، وقف حيث وقف القومُ، وقل بما قالوا، وكف عما كفوا عنه، واسلك سبيل سلفك الصالح فإنه يسعك ما وسعهم"[١١].

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وقال الأوزاعي أيضاً: "عليك بآثار من سلف وإن رفضك الناس، وإياك وأقوال الرجال وإن زخرفوها وحسنوها؛ فإن الأمر ينجلي وأنت منه على طريق مستقيم"، وقال أيضاً: "اصبر على السنة وقف حيث يقف القوم وقل ما قالوا وكف عما كفوا وليسعك ما وسعهم" وقال: "العلم ما جاء عن أصحاب محمد وما لم يجئ عنهم فليس بعلم"[١٢].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "لا عيب على من أظهر مذهب السلف وانتسب إليه واعتزى إليه، بل يجب قبول ذلك منه بالاتفاق فإن مذهب السلف لا يكون إلا حقاً"[١٣].

وقال ابن أبي العز الحنفي: "وقد أحببت أن أشرحها [أي العقيدة الطحاوية] سالكاً طريق السلف في عباراتهم، وأنسج على منوالهم متطفلاً عليهم، لعلي أن أنظم في سلكهم وأدخل في عدادهم وأحشر في زمرتهم (مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا)[١٤].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "واعلم أنه ليس في العقل الصريح ولا في شيء من النقل الصحيح ما يوجب مخالفة الطريقة السلفية أصلاً"[١٥].

وقال: "والعدل المحض في كل شيء متعذر علماً وعملاً، ولكن الأمثل فالأمثل، ولهذا يقال: هذا أمثل، ويقال للطريقة السلفية: الطريقة المثلى"[١٦].

وقال ابن كثير: "فللناس في هذا المقام مقالات كثيرة جداً ليس هذا موضع بسطها، وإنما نسلك في هذا المقام مذهب السلف الصالح، مالك والأوزاعي والثوري والليث بن سعد والشافعي وأحمد وإسحاق بن راهويه وغيرهم من أئمة المسلمين قديماً وحديثاً"[١٧].

وقال عبد الله بن عمر: "من كان مستناً فليستن بمن قد مات، أولئك أصحاب محمد –صلى الله عليه وسلم– كانوا خير هذه الأمة، أبرها قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه –صلى الله عليه وسلم– ونقل دينه، فتشبهوا بأخلاقهم وطرائقهم؛ فهم أصحاب محمد –صلى الله عليه وسلم– كانوا على الهدى المستقيم"[١٨].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: "من كان مستناً فليسن بمن قد مات فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد –صلى الله عليه وسلم– كانوا أفضل هذه الأمة، أبرها قلوبًا وأعمقها علمًا وأقلها تكلفاً اختارهم الله لصحبة نبيه ولإقامة دينه؛ فاعرِفوا لهم فضلَهم، واتبعوهم على آثارهم، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم وسيرهم؛ فإنهم كانوا على الهدى المستقيم"[١٩].

وقد قال ابن عباس للحرورية لما جاءهم مناظراً: "أتيتكم من عند صحابة النبي –صلى الله عليه وسلم– من المهاجرين والأنصار؛ لأبلغكم ما يقولون، فعليهم نزل القرآن، وهم أعلم بالوحي منكم، وفيهم أنزل، وليس فيكم منهم أحد"[٢٠].

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

والسلف الصالح هم الأقرب إلى مشكاة النبوة، والأعرف بحقائق هذا الدين الشامل لجميع نواحي الحياة، وكان منهجُهم أسلمَ وأعلم، ولذا وجب اتباعُه، والسير على خطاه، لقد كان للسلف منهج منضبط صالح لكل زمان ومكان، مستوعب للتغيرات في كل شؤون الحياة الفكرية وغيرها، وميزان دقيق مبرأ من العطب والخلل.

---

[١] لسان العرب، ٦٥/٥.

[٢] القاموس المحيط، ٥٨٨/١.

[٣] إحياء علوم الدين، ٤٢٥/٤.

[٤] معجم مفردات القرآن، مادة فكر.

[٥] رواه البخاري، (٢٥٠٩)، ٩٣٨/٢، ومسلم، (٢٥٣٣)، ١٩٦٢/٤.

[٦] رواه أحمد، (١٧٧)، ٢٦/١، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، (٤٣٠)، ٧٩٢/١.

[٧] رواه مسلم، (٢٥٣١)، ١٩٦١/٤.

[٨] رواه أبو داود، (٤٦٠٧)، ٦١٠/٢، الألباني في صحيح الجامع، (٢٥٤٩)، ٤٣٢/١.

[٩] المعجم الأوسط، (٤٨٨٦)، ١٣٧/٥، والمعجم الصغير، (٧٢٤)،٢٩/٢، حلية الأولياء، ٢٤٢/٩.

[١٠] الانتصار لأصحاب الحديث ص٣١.

[١١] حلية الأولياء، ١٤٣/٦.

[١٢] البداية والنهاية، ١١٧/١٠.

[١٣] مجموع الفتاوى، ١٤٩/٤.

[١٤] شرح العقيدة الطحاوية، ٦٩/١.

[١٥] مجموع الفتاوى، ٢٨/٥.

[١٦] مجموع الفتاوي، ٩٩/١٠.

[١٧] تفسير القران العظيم، ٢٩٤/٢.

[١٨] حلية الأولياء، ٣٠٥/١.

[١٩] ضعفه الألباني، مشكاة المصابيح، (١٩٣)، ٤٢/١.

[٢٠] المستدرك، (٢٦٥٦)، ١٦٤/٢ قال الذهبي في التلخيص على شرط مسلم.

المراجعات الفكرية بين الانضباط والانفلات (٣)

مروان محمد أبو بكر

مقالات للكاتب

مقالات ذات صلة

تاريخ الإضافة: ٢٠٠٨/٠٣/٢٠ ميلادي – ١٤٢٩/٣/١٢ هجري

زيارة: ٨٠

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

سبق الحديثُ عن المراجعات الفكرية، وأهميتها، وضرورة ضبطها بضوابط شرعية حتى لا تزل قدم بعد ثبوتها، فيغدو المراجع فكره كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا، يتخبط في الظلمات بعد إذ هداه الله، فالعمى بعد الهدى أنكى، والظلام بعد النور أعتم، والحر بعد الظل أشد، والضلال بعد الهدى أعمه.

وإنَّ من أبرز معالم طريق الحق والهدى اطّرادَ الأدلة في قضاياه المنهجية، فالله تعالى أنزل كتابًا لا غموض فيه ولا التباس، يصدق بعضه بعضًا، ويؤيد بعضه بعضًا، {فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ} [البقرة: ٢٦]، وقد فصل الله تعالى فيه ما يحتاجه المسلم في كل حياته، وجاءت السنة المشرفة مبينةً أدق تفاصيل الحياة، فهل دينٌ هذا شأنه في صغائر الأمور – إذا ما ووزنت بما هو أهم وأعظم كقضايا المنهج والمعتقد– يهمل ما عظم من القضايا ويضرب عنها الذكر صفحا؟! تعالى الله أن يشرع لعباده دينا هذه صفته، بل تضافرت النصوص في قضايا المنهج –ولله الحمد– فعلى العبد أن يتبع لا أن يبتدع، فيدخل متأولا برأيه أو متوهمًا بفهمه؛ فإنه ما سلِم في دينه إلا من سلَّم لله ورسوله، والمرء غير مكلف أن يتبنى غير ما أنزله ربه تعالى بلسان عربي مبين، وقاله أفصحُ من نطق بالضاد عليه الصلاة والسلام، فالمسلم إن وجد نقلا يخالف ما تضافرت عليه النصوص فإنه لا يرجع عما تواترت عليه الأدلة، لنقلٍ أوهمَ مخالفتَها، لأن مِن سمات المنهج الحق اطراد النصوص في قضاياه المنهجية والفكرية.

لذا تجد من حار به الطريق يستل نصًّا يوهمُ ظاهرُه مخالفةَ ما تواتر، فيجعله الأصلَ الذي يجب الرجوعُ إليه، ملقيًا نقولا كثيرة وراءه ظهريا، وهذا هو عين الضلال، إذ لا يجوز ذلك شرعًا ولا عقلا، بل يجاب عن النص المفهم مخالفة الأدلة التي تواترت واطردت بالطرق المعروفة في أصول الفقه في باب التعارض والترجيح.

ومثالا على ما سبق ما توهَّمه بعضُ دعاة الاشتراكية دليلا على فكرهم، وهو حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن الأشعريين إذا أرملوا في الغزو أو قل طعامُ عيالهم بالمدينة جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد ثم اقتسموه بينهم في إناء واحد بالسوية فهم مني وأنا منهم"[١]

هذا الحديث يرشد إلى التكافل بين المسلمين، والتعاون في الأزمات، ويشيد بالأشعريين لتراحمهم فيما بينهم، وتعاونهم في الأزمات، وليس فيه دليل على النظرية الاشتراكية التي تحرم ملكية الإنسان للأشياء وتوجب عليه أن يلقي بما في يديه قل أو كثر بين يدي الدولة لتتولى توزيعه لأفراد المجتمع بالسوية، أين هذا الفكر من مفهوم الحديث الذي يندب إلى التكافل والتعاون خاصة في زمن الأزمات والابتلاءات؟! وأين يذهب من يستدل بهذا الحديث بكثير من آيات القرآن الكريم التي تفرض على المسلم الزكاة وأحاديث السنة التي تبين مقدارها ومواردها ومصادرها؛ إذ لو كان الإنسان مطالبًا أن يلقي بكل ما عنده للسلطة الحاكمة فليس ثمة معنى للحديث عن إخراج جزء من ماله لها.

وقد جاءت الأحاديث الصحاح ترشد عامل الزكاة ألا يأخذ من كرائم الأموال، بل يأخذ من المال ما كان وسطًا بين جيده ورديئه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن: "إنك ستأتي قومًا أهل كتاب، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينه وبين الله حجاب"[٢].

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

فمن رجع عن فكر الإسلام المعتدل –الذي يدعو إلى التعاون والتراحم– إلى فكر الاشتراكية المتطرف الذي يوقع بالناس ضررًا بالغًا لحديث أبي موسى رضي الله عنه فقد خالف المنهج القويم في مراجعاته.

وقد قصدت أن أضرب الأمثلة الواضحة لما أسوقه من الضوابط في المراجعات الفكرية للتنبيه على المنهج المختل الذي يتبناه كثير من مفكري زماننا وتجنبت الخوض فيما وقع ويقع منهم حتى لا نجر القارئ إلى سجالات تخرجنا عن المقصود، إذا المقصود بيان الضوابط العامة للمراجعات الفكرية، وليس مناقشة بعض الجزئيات التي خالفوا فيها الهدي القويم.

والله من وراء القصد.

---

[١] رواه البخاري، ٢/٨٨٠، (٢٣٥٤)، ومسلم، ٤/١٩٤٤، (٢٥٠٠).

[٢] البخاري، ٢/٥٤٤، (١٤٢٥)، ومسلم، ١/٥٠، (١٩).

This file was downloaded from QuranicThought.com